مجلة الإحياء، المجلد: 21، العدد: 28، جانفي 2021، ص - ص: 87 – 106
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

أوامر الله تعالى إلى بني إسرائيل في القرآن الكريم

دراسة في التفسير الموضوعي

Allah's commands to the children of Israel in the Holy Quran

طالب دكتوراه جغلول عمر * **أ.د/ صالح عسكر**
كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة 1
المخبر الانتماء: الفقه الحضاري ومقاصد الشريعة
omar.djeghloul05@gmail.com askarsalah@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/03/02 **تاريخ القبول: 2020/12/29**

الملخص:

ذكر بنو إسرائيل ذكرا واسعا في القرآن الكريم، وكانت تربطهم بالنبي ﷺ وأصحابه في الفترة المدنية علاقة مجاورة ومحاربة ومحاورة - أحيانا-.

لقي بنو إسرائيل في القرآن الكريم عناية خاصة ارتبطت بتاريخهم القديم؛ فأنزل الله إليهم أشهر كتبه السابقة، وأوكل تعليمهم وتسيير شؤون حكمهم وسائر أحوالهم إلى أنبياء معصومين منهم، أشهرهم موسى -عليه السلام- الذي لقي منهم عنتا وعنادا شديدين.

ومن عنايته -سبحانه- أن وجه إليهم أوامر كثيرة -عبر كتبهم وأنبيائهم، وعبر كتابنا أيضا- في مجالات مختلفة، وأغراض منوعة، تكلفهم ما يصلحهم في الدين والدنيا. وقد حوى القرآن الكريم جملة حسنة من تلك الأوامر يمكن اعتبارها ملخصا لها، نتعرف في هذا المقال عليها وعلى أغراضها؛ كما سجل موقفهم منها وبين عاقبته في الدنيا والآخرة.

الكلمات المفتاحية: أمر؛ الله؛ بنو إسرائيل؛ القرآن الكريم؛ غرض.

Abstract:

Children of Israel have received a broad mention in the Noble Quran; they tied up with the Prophet (peace be upon him) and his companions during the Medina period neighboring, fighting, and sometimes negotiation relationships.

In the Noble Quran, the Children of Israel received special attention linked to their ancient history. So Allah sent down to them the most famous of his previous books, and assigned their education and management of their governing matters and affairs to infallible prophets, among them Moses (peace be upon him) who in counterpart received Intransigence and stubbornness.

Among the aspects of care Allah showed them; he addressed them with many commands through their book and prophets, as well as The Holy Quran which contains commands in different fields and diverse purposes that could be considered as a summary of all of them, we are about to tackle and shed the light on their aims, as well as their position toward them and finally showing the consequences in this life and the hereafter.

Keywords: Command; Allah; Children of Israel; The Noble Quran; purpose.

* المؤلف المرسل.

مقدّمة:

لم يحظ شعب بسعة الذكر في القرآن الكريم كما حظي بنو إسرائيل، ولا حتى العرب الذين نزل القرآن بلسانهم وفي بلادهم وعلى رجل منهم؛ فقد ذكروا ما يقارب مائة مرة؛ منها اثنتان وأربعون بلفظ بني إسرائيل، واثنتان وعشرون بلفظ اليهود وما اشتق منه، وثلاث بلفظ قوم موسى- عليه السلام-، وواحد وثلاثون بلفظ أهل الكتاب المشترك بينهم وبين النصارى حسب ما أحصيت*.

بل إن القرآن تضمن سورة كاملة باسم بني إسرائيل وهي سورة الإسراء، وأخرى باسم بيت من أشهر بيوتاتهم وهي سورة آل عمران، وثالثة باسم أحد أنبيائهم وهي سورة يوسف -عليه السلام-، ورابعة باسم امرأة منهم وهي مريم -عليها السلام-. بل إن أطول سورة في القرآن كله تحمل اسم بقرة كانت لهم. وأما سورة الأنبياء التي تحدثت عن ثمانية عشر نبيا فقد خصصت أكثر من نصف هذا العدد لأنبيائهم، في حين دار القصص كله -في سورة القصص- حول ثلاث شخصيات كلها منهم، وهم موسى وهارون -عليهما السلام- وقارون.

لقي بنو إسرائيل عناية خاصة من الله -جلت حكمته- من دون سائر الأمم القديمة؛ فأنزل إليهم أشهر كتبه السابقة، وأوكل تعليمهم وتسيير شؤون حكمهم وفصل قضائهم وسائر أحوالهم إلى أنبياء معصومين منهم. قال النبي ﷺ : «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي**، ...»[(1)] في حين كانت الأمم الأخرى تسوسهم الملوك والقادة ورؤساء القبائل بأهوائهم وتسومهم العسف في أكثر أحوالهم.

ومن تلك العناية أنه -تعالى- كان يوجه إليهم بين الفينة والأخرى أوامر منوعة الأغراض، مختلفة المجالات، تكلفهم ما يصلحهم في الدين والدنيا كما تدل عليه نصوص القرآن الكريم.

ثم حلت عليهم اللعنة التي عانوا آثارها على امتداد تاريخهم الطويل. لماذا؟

لأنهم عصوا ما صدر إليهم من أوامر الله. قال تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(79)**﴾ [المائدة].

وفي هذا المقال استقراء تام لتلكم الأوامر، لا لمجرد إشباع الفضول فحسب، بل نهدف لمعرفتها جيدا لألا نخالفها -إن كان في شريعتنا مثلها أو نفسها- فنتعرض لأن يحل بنا مثل ما أصابهم.

ولأجل ذلك سنقوم بجمع كل الأوامر التي توجهت إلى بني إسرائيل من قبل الله جل شأنه، والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم، ثم نتناولها بالإحصاء والشرح وبيان أغراضها، ثم نذكر موقفهم العام منها طاعة أو عصيانا، وبعد ذلك نسلط الضوء على العواقب المترتبة عن موقفهم تجاهها. وفي الختام نستقطر ما في بحثنا من خلاصات.

وما منعنا من تتبع تلك الأوامر في كتب القوم إلا انعدام الثقة بها بسبب تحريفها، فاستعضنا عن ذلك بما ورد منها في الكتاب العزيز؛ لأن بني إسرائيل وإن كانوا يدخلون في عموم المخاطبين بالرسالة الخاتمة، لا بخصوص شريعتنا إلا أنهم وجهت إليهم خطابات خاصة -في سياق معالجة القرآن للأحداث الجارية والأفكار السائدة في بيئة نزول الوحي- لكونهم أحد مكونات المجتمع المدني المعاصر لفترة نزول القرآن، تماما كما وجهت خطابات إلى مشركي قريش مع أنهم يدخلون في عموم أمة الدعوة لا في أمة الإجابة.

أولا: مجالات أوامر الله تعالى إلى بني إسرائيل في القرآن الكريم

ليست الحياة البشرية نمطية كحيوات الحيوان، وإنما هي حياة ثرية الأنشطة، مختلفة الجوانب، متنوعة الأساليب. وحياة بني إسرائيل لم تختلف عن سواهم من بني آدم.وبما أن وحي الله يأتي لهداية البشرية في مسارها وإصلاح حياتها فقد توزعت أوامره -تعالى- إلى بني إسرائيل في القرآن الكريم على مجالات الحياة الإنسانية المختلفة، فقد تناولت جوانب العقيدة والعبادة والمباحات والعلاقات الاجتماعية ومبادئ الأخلاق ومسائل الوعظ، كما تناول بعضها أحداثا خاصة، وفيما يلي تفصيلها.

1- في مجال العقيدة: إذا تتبعنا نصوص القرآن الكريم وجدنا أنه ورد إلى بني إسرائيل في هذا المجال أربعة أوامر استوعبت -على قلتها- مسائل الاعتقاد كلها، وقد جاء ثلاثة منها متتالية والرابع بعدها بيسير ضمن مجموعة من الأوامر الأخرى افتتح بها حديث طويل عن القوم هو أول ذكر لهم حسب ترتيب المصحف الشريف. قال تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41)**﴾ [البقرة]. فقد أمرهم:

ا- برهبة جنابه جل جلاله. قال تعالى: (**وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**) [البقرة:40].أي: خافوني[2]واخشوني[3].

ولم يرد الأمر إليهم برهبته -سبحانه وتعالى- إلا في هذا الموضع، ومع ذلك كان كافيا جدا، لفخامة لفظه؛ بل إن وروده مرة واحدة جعله عزيزا ثميناً تُستشعر هيبته وتُحذر مخالفته، فهويتضمن معنى التهديد [4].

فالغرض منه التحذير من عواقب الاستخفاف بأمره أو نقض شيء من عهده.

ورهبته -تعالى- من أهم مسائل العقيدة وأقواها أثرا على قلب المؤمن؛ لأنها تحمله على طاعة أوامر الله واجتناب نواهيه وتصديق أخباره، ولو طبقها بنو إسرائيل وحدها لكفتهم كل ما أصابهم من عقوبات في الدنيا وما ينتظرهم منها في الآخرة.

ب- بالدخول في الإسلام: وذلك بدعوتهم إلى الإيمان بكتابه [5] الذي هو القرآن الكريم المتضمن لما معهم من أركان الدين وأصوله ومقاصده. وقد ورد في موضعين:

أحدهما: قوله تعالى: (**وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ**) [البقرة:41].

والثاني: قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ**) [النساء:47].

ويدخل في ذلك الإيمان بنبوة من أنزل عليه[6] ﷺ ومتابعته،[7] سيما وقد جاء وصفه في كتبهم بالدقة والوضوح الذين جعلاهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

قال تعالى: (**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(146)**)[البقرة]. قال القرطبي:(أي يعرفون نبوته وصدق رسالته،..) [8]

وقد ذكرت الآيتان معا داعيا هاما لهم إلى تنفيذ هذا الأمر -إضافة إلى كونه حقا قد قامت عليهم به الحجة من جهة إعجازه[9] - وهو كونه موافقا لما معهم. وفي ذلك إشارة إلى أن تكذيبهم به هو في الحقيقة تكذيب لكتبهم.

وبين الآيتين تكامل بديع، ففيما أرفقت الأولى الأمر بالإيمان بالْقرآن بالنهي عن المبادرة بالكفر به والتحذير من الجحود له، أرفقته الثانية بالتهديد بطمس وجوه الجاحدين وردها على أدبارها أو لعنهم كما لعن أسلافهم من أصحاب السبت الذين مسخوا قردة خاسئين.

فالغرض منه الدعوة إلى الإسلام[10] والحث على المبادرة بالدخول فيه. [11]

ولا ريب -في تقديري- أن هذا الأمر أعم الأوامر الصادرة إليهم جميعا؛ لأنه تضمن الطلب بالدخول في دين جديد كامل يحوي آلاف الأوامر والنواهي، ولزوم شريعة جديدة ناسخة لشريعتهم التي تطرق إليها التحريف والتبديل.

ج- بتقوى الله تعالى: أي بالحذر مما يؤدي إلى إنزال عقوبته سبحانه بهم[12].

وقد ورد في موضعين من القرآن:

أحدهما: قوله تعالى: **(وَلَا تَشْتَرُوا بِآَيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ(41))** [البقرة]. وهو أمر موجه إلى المعاصرين منهم للنبي محمد ﷺ فمن بعدهم.

ولا يخفى أن تقديم المفعول في الآية أفاد الحصر، ومن ثم قال السعدي في تفسيرها: «(وإياي) أي: لا غيري (فاتقون) فإنكم إذا اتقيتم الله وحده، أوجبت لكم تقواه تقديم الإيمان بآياته على الثمن القليل»[13]؛ لأن عوامهم كانوا لا يجرؤون على الدخول في الإسلام وترك اليهودية اتقاء لغضب علمائهم، وهؤلاء لا يجرؤون على التصريح بما في كتبهم من صفة النبي والاعتراف به اتقاء لعامتهم أن يقطعوا عنهم ما كانوا يتمتعون به من الامتيازات، كما ذكره غير واحد من المفسرين[14].

فالغرض منه التحذير من مخالفة أوامر الله عامة، وجحود نبوة نبينا خاصة، اتقاء لغضب بشر أو حفاظا على مكانة أو عرض دنيوي. ولو طبقوا هذا الأمر لتجنبوا ما حل بهم من القتل والجلاء في العهد النبوي فما بعده، إضافة إلى فوزهم الأخروي.

والثاني**:** قوله تعالى: **(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا(131))** [النساء].

وقد تنوعت عبارات المفسرين في بيان مفهوم كلمة التقوى هنا، فمنهم من فسرها بمعناها اللغوي، ومنهم من فسرها بمعناها الشرعي، ومنهم من فسرها بأساسها وهو الإيمان وهو أرجحها لأنها قوبلت بجملة **(وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)**.[15] وعلى جميع هذه الوجوه في تفسيرها فإن **الغرض** من الأمر بها هو تأكيد وجوب تقوى الله بأبلغ وجه.[16]

ومن لطفه سبحانه أنه سمى الأمر بالتقوى في هذه الآية وصية؛ «لِأَنَّ الْوَصِيَّةَ قَوْلٌ فِيهِ أَمْرٌ بِشَيْءٍ نَافِعٍ جَامِعٍ لِخَيْرٍ كَثِيرٍ» [17] وهو دليل على أن المقصد من أوامره -تعالى- هو تحقيق نفعهم وليس إرهاقهم. وقد مهد -سبحانه- لهذا الأمر وذيله بالتذكير أنه مالك ما في السماوات وما في الأرض تنبيها إلى عدم تضرره مطلقا إن عصوه ولم يتقوه[18].

ولو أن بني إسرائيل طبقوا هذا الأمر وحده لسعدوا في الدنيا والآخرة. قال تعالى: **(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65))** [المائدة].

د- باتقاء عذاب يوم القيامة: وقد ورد في موضعين:

الأول: قوله تعالى: **(وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (48))** [البقرة].

والثاني: قوله تعالى: **(وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (123))** [البقرة].

ومن البديهي أن اليوم المقصود في الآيتين هو يوم القيامة، وأن المعنى اللغوي هو المراد من التقوى المأمور به فيهما، فيكون المعنى: اخشوا عقاب يوم القيامة[19]، الذي لا يقدر فيه مخلوق أن ينفع نفسه ولا غيره بشيء مطلقا، ولا يجد ناصرا.

فالغرض من هذا الأمر هو التحذير من التقصير في العمل الصالح اغترارا بما كان من تفضيلهم على العالمين في زمنهم الأول،[20] وقد تضمن هذا الأمر وعيدا[21] لبني إسرائيل بالعذاب إن لم يؤمنوا بالنبي ﷺ وما أنزل عليه خصوصا، وإن عصوه عموما.

خلاصة:

نخلص مما سبق إلى أمرين:

* جميع الأوامر الموجهة منه - تعالى- إلى بني إسرائيل -في مجال العقيدة- تدور حول محورين هما: الإيمان بالله وما أنزل على نبيه محمد ﷺ، والخوف من عقابه الدنيوي والأخروي.

* معنى الخوف أكثر المعاني تكررا؛ لأن الخوف هو الذي يكسر سلطان الهوى الذي يحول بين العبد وبين إبصار الحق والعمل به، ولعل في ذلك إشارة أيضا إلى نوعية الشخصية الإسرائيلية، وأنهم لا يفهمون إلا لغة القوة والعقوبة.

2- في مجال العبادة: بتتبع نصوص القرآن الكريم وجدنا أنه ورد إليهم في هذا المجال أربعة أوامر توزعت على ثلاثة مواضع، اثنان منها في سورة البقرة وهما :

قوله تعالى: **(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)).**

وقوله تعالى: **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ(83)) فمن جملة ما أخذ عليهم من الميثاق (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ).**

والثالث في سورة البينة وهو قوله تعالى: **(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (5)).**

وكما هو ظاهر فقد تكرر التنصيص على اثنين منهما في المواضع كلها لعظم أهميتهما في الدين[22] وهما الصلاة والزكاة، بينما اكتفي بموضع واحد للعبادة؛ لأن الحديث فيه عنها عموما لا عن عبادة خاصة، وكذلك الركوع، لأنه توكيد للأمر بالصلاة وليس عبادة مستقلة. إذن فقد أمروا بأربعة أمور هي:

ا- بالعبادة عامة مشروطة بالإخلاص كما نصت آية البينة الآنفة. و في القرآن نصوص كثيرة تدل على طلبه من كل أمة، كما جاء النص بأن عبادة الله وحده هي المهمة الأولى التي خلق لها الثقلان جميعا.

فالغرض من الأمر بها هو الوجوب، ثم انضم إليه في هذا السياق غرض آخر وهو تقريع اليهود وتوبيخهم على تفرقهم بعد مجيء البينة، وهي بعثة نبينا ﷺ[23]. واللافت للانتباه أن هذه الأمة التي أمرت بالعبادة الخالصة لله تطرق إليها الشرك كثيرا عبر تاريخها[24] -بدءا بعبادة العجل في حياة موسى، مرورا بادعائهم أن عزيرا ابن الله- ولم تعرف بين الأمم إلا بعبادة المال و الإخلاص في اكتنازه والاستحواذ على مصادره[25].

ب- بإقامة الصلاة: والمراد صلاة المسلمين لأن صلاتهم نسخها القرآن فلحقت بالعدم[26]، وإن كان احتمال أن يكون المقصود صلاتهم واردا[27]، وقد أمرتهم التوراة بالصلاة أمرا مؤكدا مكررا أيضا[28].

والغرض من الأمر بها - وكذلك الزكاة- في آيتي البقرة هو الوجوب[29]، وانضم إليه غرض التقريع والتوبيخ[30] في آية البينة. والملاحظ أنه في المواضع الثلاثة التي أمرهم بها فيها لم يقل (صلوا)، وهو الأمر من الصلاة، بل قال أقيموا الصلاة، أي: أدوها بأركانها وسننها وهيئاتها في أوقاتها[31]. فإقامتها غير مجرد أدائها، وهي من العبادات المشتركة بين جميع الشرائع السماوية؛ كما دلت نصوص كثيرة من القرآن العظيم كقوله تعالى: **(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (55))** [مريم]

ج- بالزكاة: والمراد بها في الآية زكاة المسلمين لأن غيرها نسخها القرآن فلحقت بالعدم[32] أيضا، وقد كانوا مأمورين بها في التوراة وما يزالون[33]. والملحوظ أن هذين الركنين المعظمين في كل الأديان السماوية لا يكادان يذكران في موضع من القرآن الكريم إلا ذكرا معا، سواء توجه الأمر بهما إلى المسلمين أو إلى غيرهم.

د- بالركوع مع الراكعين: والمعنى: صلوا مع المصلين[34].

فالغرض منه الإرشاد إلى حضور الجماعة[35] وتوكيد الأمر بالصلاة، وإنما خص الركوع بالذكر لكونه من أهم أركانها، تعبيرا بالجزء عن الكل؛ أو لأن صلاة اليهود لا ركوع فيها[36] فيكون المعنى صلوا مع الذين في صلاتهم ركوع، أي: مع المسلمين، والمعنى: ادخلوا في الإسلام واخضعوا لله[37].

خلاصة:

جميع الأوامر الموجهة من الله تعالى إلى بني إسرائيل -في مجال العبادات- تدور حول محورين هما: الدخول في الإسلام بإظهار شعائره عامة والتأكيد على أعظم أركانه -الصلاة والزكاة- خاصة.

3- الأوامر التي تفيد الإباحة:

بتتبع نصوص القرآن الكريم وجدنا أنه وردت إليهم أربعة أوامر في هذا المجال اختصرت ضرورات الحياة، وهذه الأوامر هي:

ا- بالأكل: قال تعالى: **(وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)** [البقرة:57].

وقد ورد إليهم هذا الأمر في ستة مواضع من القرآن الكريم، ثلاثة منها في سورة البقرة في الآيات: السابعة والخمسين والثامنة والخمسين والستين واثنان في الأعراف في الآيتين الستين بعد المائة والواحدة والستين بعد المائة، والسادس في طه الآية الواحدة والثمانين. و**الغرض** منه الإباحة والامتنان. ويلاحظ:

• أن أربعة مواضع منها ذكر فيها المفعول وهو المن والسلوى: وهما نوعان من الطعام أكرمهم الله بهما -دون غيرهم من البشر- حين كانوا يهيمون على وجوههم في صحراء سيناء حيث لا طعام، فكرره أكثر تذكيرا بالنعمة ليشكروها.

• أن موضعين حذف مفعولهما اختصارا،أحدهما قوله تعالى: **(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا)** [البقرة: 58]. والمقصود به الثمار الكثيرة[38] المتنوعة التي كانت في الأرض المقدسة التي أمر بنو إسرائيل -في حياة موسى- أن يجاهدوا أهلها ويدخلوها ويأكلوا منها رغدا حيث شاؤوا، فجبنوا ولم يطيعوا، فعاقبهم بالتيه في سيناء أربعين سنة ولم يحصل الأكل المأمور به. والآخر قوله تعالى: **(وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ)** [الأعراف: 161] وكان ذلك زمن يوشع بن نون، والمقصود الأكل من ثمار البلدة المقدسة.

ب- بالشرب: قال تعالى: **(وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ(60))**

[البقرة]. وهو الموضع الوحيد الذي ورد فيه الأمر إليهم بالشرب، و**الغرض** منه الإباحة والامتنان. والآيات تتحدث عن منة أخرى منها الله على بني إسرائيل زمن التيه، إذ شكوا العطش إلى موسى -عليه السلام- فسأل الله لهم السقيا فأمره أن يضرب بعصاه حجرا فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدد أسباطهم فشربوا، وصاروا يحملونه معهم -فيما ذكر المفسرون- كلما أرادوا الماء وضعوه على الأرض فضربه موسى فانبجس منه، فإذا حملوه جف؛ فأمرهم الله أمر امتنان أن يشربوا من هذا الماء الذي لا تعب في الحصول عليه.

ج- بهبوط مصر: قال تعالى (**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ**) [البقرة 61] وهو الموضع الوحيد الذي ورد فيه الأمر إليهم بالهبوط.

وقد ورد إليهم هذا الأمر بعد طلبهم الذي يدل على حمقهم وانحطاط همتهم.قال ابن عاشور -مبينا **الغرض** منه-: «فالأمر في قوله: (اهبطوا) للإباحة المشوبة بالتوبيخ. أي: إن كان هذا همكم فاهبطوا، بقرينة قوله: (**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْر**) [39]. ولا شك أن إجابتهم بلفظ الهبوط مناسبة لهبوط مطالبهم.

د- بسكنى الأرض: قال تعالى: (**وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآَخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا(104)**) [الإسراء]. وقد ورد إليهم في موضعين هذا أحدهما، والثاني في الأعراف في الآية 161 وهو قوله تعالى: (**اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ**) فأمروا بعد غرق فرعون أن يسكنوا الأرض، أي : أرض الشام وفي الآية الأخرى (القرية) أي بيت المقدس وهي من الشام.

وهو أمر شرعي **غرضه** الإباحة والامتنان. إذن فالناظر في سياق هذه الأوامر يجد أن الغرض منها جميعا هو الامتنان عليهم وإشعارهم بنعم الله وفضله عليهم، استدامة لإيمانهم به واستصدارا لشكرهم له، إلا موضعا واحدا وهو قوله تعالى(اهْبِطُوا مِصْرًا) فقد تضمن التوبيخ على قلة اكتراثهم بالنعمة وسوء أدبهم مع مسديها.

خلاصة:

جميع الأوامر الموجهة إلى بني إسرائيل -في مجال الإباحة- تدور حول محورين هما: الغذاء والسكن، واللذان هما أهم ضرورات الحياة؛ وقد سيقت إليهم في سياق المن عليهم والتودد إليهم عسى أن يستشعروا فضل المنعم سبحانه فيؤمنوا به ويوحدوه ويعبدوه كما أمرهم، ويقابلوا إنعامه عليهم بالحمد والشكر قولا وفعلا، لكن تلك النفوس الخسيسة استعصت عن استصدار اعترافها بالجميل، بل صدر منها ما يدل على احتقارها له ومطالبتها بغيره، فجاءها التوبيخ والتقريع لتعرف قدرها وتتأدب مع سيدها.

4- في مجال العلاقات الاجتماعية:

بتتبع نصوص القرآن الكريم وجدنا أنه ورد إليهم في هذا المجال خمسة أوامر استوعبت -على قلتها- كل ما يصلح المجتمع وينفعه، وهي جميعا في موضع واحد، هو قوله تعالى: (**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**) [البقرة:83]، والتقدير: وأمرناهم بالوالدين إحسانا[40]، وبقية المذكورات معطوفة على الوالدين، أي: وأمرناهم بالإحسان إلى ذي القربى واليتامى والمساكين. فخص الوالدين والأقارب لمكانتهم واليتامى والمساكين لحاجتهم، ثم عمم الأمر بالإحسان إلى الناس كافة بالقول ما دام لا يمكن استيعابهم جميعا بالإحسان بالفعل. وهي تهدف إلى تعميم الخير -فعلا وقولا- بين أفراد وفئات المجتمع كله.

فهذه الأوامر -على ترتيبها في المصحف- هي :

ا- الإحسان إلى الوالدين: وقد بدئ بهما لأن حقوقهما آكد وأعظم على الولد من حقوق بقية المخلوقات جميعا، فهي تلي حقوق الله مباشرة[41].

والغرض من الأمر به هو الوجوب[42]، ودل التعميم على أنه يشمل كل إحسان فعلي وقولي، مع عدم الإساءة إليهما بشيء مطلقا.[43]

ب- صلة الأرحام: وهم الأقارب، وتكون صلتهم بالنفقة عليهم -إن احتاجوا- وتفقد أحوالهم والمحبة والنصرة والنصيحة وترك مضارتهم والعدل بينهم والقيام بحقوقهم الواجبة، كتمريض المرضى منهم وغسل الموتى والصلاة عليهم ودفنهم وغير ذلك[44].

والغرض من الأمر به -ومن جميع ما بعده من أوامر هذا المجال- هو الوجوب والحث[45] والفطرة داعية إلى هذا الأمر ومؤكدة له[46].

ج- رعاية الأيتام: لأنهم ضعاف لا يقدرون على حماية أنفسهم وأموالهم، ويفقدون الكافل الذي يجده غيرهم، فيحتاجون الرعاية أكثر من سواهم، والعاطفة الإنسانية داعية إليها ومؤكدة لها.

د- العطف على المساكين: وهم الفقراء والضعفاء وسائر من أسكنته الحاجة وأذله العجز، ويكون الإحسان إليهم بالصدقة والمواساة وتفقد أحوالهم ونحو ذلك[47].

هـ - حسن التعامل مع الناس كافة: أي: بالكلام الطيب والجانب اللين وسائر ما هو من مكارم الأخلاق وإن كانوا مخالفين في الدين[48].

خلاصة:

* الأوامر الموجهة من الله تعالى إلى بني إسرائيل -في هذا المجال- هي قواعد التعامل الإنساني الجيد والسلوك الحضاري الراقي، ولذلك جاء الأمر بها في شريعة نبينا وهي خاتمة الشرائع الموجهة إلى البشرية جميعا، قال تعالى: **(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا(36))** [النساء].

* المتأمل لهذه الأوامر يجدها إجمالا لتفاصيل **المجال الأخلاقي**، لأن القول الحسن يشمل الصدق وأدب الكلام واحترام المخالف، والإحسان إلى المساكين يشمل رحمتهم والإشفاق عليهم وإعانتهم، والإحسان إلى اليتامى يشمل الرفق بهم وإكرامهم والحرص على مصالحهم ...الخ. ولذلك قال القرطبي في معرض تفسيره للآية الحاوية لتلك الأوامر: «وهذا كله حض على مكارم الأخلاق».[49]

5- الأوامر المتضمنة الوعظ والتذكير:

بتتبع نصوص القرآن الكريم وجدنا أنه ورد إليهم في هذا المجال خمسة أوامر توزعت على سبعة مواضع، ستة منها في سورة البقرة والسابع في سورة الأعراف، كلها تهدف إلى إرشادهم لما فيه صلاحهم. وهي:

ا- ذكر نعمة الله عليهم: قال تعالى: **(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)**

وقد تكرر هذا الأمر وبهذه العبارة نفسها في ثلاثة مواضع كلها في سورة البقرة، في الآية الأربعين، والسابعة والأربعين، والثانية والعشرين بعد المائة.

والذكر المأمور به هنا يحتمل الذكر الذهني الذي هو (نقيض النسيان) [50]، وهو ما يرجحه ابن عطية[51] والقرطبي[52] وابن عاشور[53] وغيرهم، ويحتمل أن يقصد به الذكر اللساني الذي هو (جري

الشيء على اللسان) [54]، ويقصد به حينئذ شكر النعمة والثناء على المنعم بها، وهو ما يرجحه ابن الأنباري[55]. وفي تقديري أن المقصود هو القيام بحقوقها، اعترافا بالقلب وثناء باللسان واستعمالا للجوارح فيما يحبه الله ويرضاه، لا مجرد الإخطار بالقلب أو التفوه باللسان، تماما كما يدل عليه مجموع قولي الألوسي[56] والسعدي[57].

أما النعمة التي أمروا بذكرها هنا فالمقصود بها جميع النعم التي أنعم الله بها عليهم؛ لأنها اسم جنس، سواء حصلت لهم في زمن نزول هذه الآيات أو في زمن موسى ومن بعده من أسلافهم؛ ولكنه سبحانه خص نعمة تفضيلهم على العالمين في زمانهم الأول لتميزها، فقال في الموضعين الثاني والثالث: (**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ(47)**).

فالغرض من هذا الأمر هو «الامتنان والدعوة إلى الإسلام»[58]. فطلب منهم -سبحانه- عدم الغفلة عن نعمه وذلك بالقيام بحقوقها واستشعار فضل مسديها والثناء عليه بها، ولو فعلوا ذلك لاستداموها ولزيد لهم منها. قال تعالى: (**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ(7)**) [إبراهيم] .

ب- الوفاء بعهد الله تعالى. قال سبحانه: (**وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ**) [البقرة: 40].

ولم يرد الأمر به إليهم إلا في هذا الموضع. والعهد لغة هو الوصية والأمر والموثق. [59]

أما الوفاء فهو الإتمام، الذي هو ضد الغدر[60]، «واستعير العهد المضاف إلى ضمير الجلالة لقبول ما يكلفهم به من الدين»[61].

فالغرض من هذا الأمر هو إيجاب الوفاء والحث عليه.

وقد تنوعت أقوال المفسرين في ماهية العهد الذي أمروا بالوفاء به، فقال الحسن البصري[62]: هو قوله تعالى: (**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(63)**) [المائدة:12]، وقال ابن جريج[63]: هو قوله تعالى: (**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**) [المائدة:12]، وقال الطبري: هو الإيمان بنبوة محمد ﷺ وما أنزل عليه وبيان أمره للناس[64]، وقال الزمخشري: هو الإيمان بالله وطاعته[65]، وقال الجمهور: هو عام في جميع أوامره ونواهيه ووصاياه فيدخل في ذلك ذكر محمد ﷺ الذي في التوراة وغيره[66]. وفي تقديري فإن قول الجمهور أرجح لأنه أشمل، ولذلك صوبه القرطبي[67].

أما عهدهم عنده فهو أن ينصرهم ويثيبهم ويدخلهم الجنة إن أدوا ما عليهم[68].

ج- أخذ التوراة بقوة: قال تعالى: (**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ**) [البقرة:63]. وقد ورد إليهم في ثلاثة مواضع، اثنان منها في البقرة والثالث في الأعراف. والمعنى: خذوا ما أعطيناكم من التوراة بجد واجتهاد، وهو (مجاز في إتقان التلقي والعزيمة على العمل به، كقوله تعالى: (**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ**) [مريم: 12]) [69].

والغرض من هذا الأمر هو الحض[70] - وكذلك الذي يليه- وقد نصت الآية على إقرارهم بأنهم سيعملون جادين بأحكام التوراة بعد تهديدهم بإسقاط الجبل عليهم.

د- ذكر ما في التوراة من أمر ونهي ووعيد: قال تعالى: (**وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(63)**) [البقرة]. وقد ورد إليهم في موضعين: أحدهما في سورة البقرة والآخر في سورة الأعراف، وهو معطوف على الأمر الذي مضى آنفا. والمعنى: تذكروا ما في التوراة من أوامر ونواهي ووعيد وتدبروها واعملوا بمقتضاها.

هـ - بالاستماع لأوامر الله: قال تعالى: **(خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا)** [البقرة: 93]. ولم يرد إلا في هذا الموضع. والمعنى -على ما قال المفسرون- : استجيبوا لما في التوراة من أوامر وتوجيهات وأطيعوها، وليس المقصود السماع الذي هو مجرد إدراك القول فقط، كما قال القرطبي.

والغرض من هذا الأمر التوكيد على الأمر الذي سبقه.

خلاصة:

جميع الأوامر الموجهة من الله تعالى إلى بني إسرائيل -في هذا المجال- تدور حول محورين هما: استدامة الشعور بنعم الله عليهم وشكرها قولا وفعلا، وتذكر أوامره إليهم في التوراة دائما وتطبيقها بجد.

6- أوامر متعلقة بأحداث خاصة:

ا- بمناسبة دخول بيت المقدس: ورد إليهم أمران:

-أحدهما بأن يدخلوا الباب سجدا. قال تعالى: **(وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا)**. وقد ورد في ثلاثة مواضع: في الآية الثامنة والخمسين من البقرة، والآية الرابعة والخمسين بعد المائة من النساء، والآية الحادية والستين بعد المائة من الأعراف.

والمعنى: منحنين، وقيل: متواضعين خضوعا[71]. والباب باب مدينة بيت المقدس[72].

والغرض منه الإيجاب والامتنان.

- والآخر أن يقولوا: حطة. قال تعالى: **(وَقُولُوا حِطَّةٌ)**. وقد ورد في موضعين: في الآية الثامنة والخمسين من البقرة والآية الواحدة والستين بعد المائة من الأعراف.

والمعنى: احطط عنا ذنوبنا واغفرها[73].

والغرض منه الإيجاب والامتنان أيضا.

ب- بمناسبة مقتل رجل منهم جهل قاتله، والمعروفة بقصة البقرة: ورد إليهم أمران أيضا:

أحدهما: أن يذبحوا بقرة. قال تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً)** [البقرة: 67]. ولم يرد إلا في هذا الموضع.

والغرض من الأمر أن يهون عندهم تعظيم العجل الذي عبدوه، لأن البقرة من جنسه، وليعلم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته[74].

والثاني: أن يضربوا القتيل بعضو منها. قال تعالى: **(فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا)** [البقرة:73].

ولم يرد إلا في هذا الموضع. والمعنى: اضربوا المقتول بأي عضو منها بعد ذبحها فإنه سيحيا ويخبركم بقاتله.

والغرض هو الامتنان عليهم بمعجزة تزيدهم إيمانا[75]، وتحل مشكلة نزلت بهم.

ج- بمناسبة ادعائهم امتيازات خاصة عند الله: ورد إليهم أمران بتمني الموت:

أحدهما: عند ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه دون سواهم من البشر. قال تعالى: **(قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(6))** [الجمعة]. والمعنى: إن كنتم حقا كذلك - وقيل: دون محمد وأصحابه؛ لأنكم على الحق دونهم في زعمكم- فادعوا على أضل الفريقين بالموت - وهو أمر تحد- فلما لم يفعلوا تبين أنهم يعلمون بطلان زعمهم.

فالغرض من الأمر تكذيبهم وإبطال دعواهم الانفراد بولاية الله سبحانه[76].

والثاني: عند ادعائهم أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا. قال تعالى: **(قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(94))** [البقرة].

والمعنى: إن كنتم صادقين في هذا الزعم فتمنوا الموت لأنه يوصلكم إلى الجنة، ولم يفعلوا لحرصهم على الحياة وعلمهم بطلان ادعائهم أيضا.

والغرض من هذا الأمر إبطال اعتقادهم وادعائهم أنهم أهل الانفراد برحمة الله، المستحقون لمحبته[77].

خلاصة:

- الأوامر الموجهة من الله تعالى إلى بني إسرائيل -في هذا المجال- تدل على أن أوامر كثيرة توجهت إليهم عبر أنبيائهم مباشرة تعالج الوقائع والأحداث اليومية دون أن يكون لها ذكر في التوراة يقينا، لأن التوراة نزلت جملة واحدة، فذكرها اليوم فيها من أدلة تحريفها، كما تدل على عناية الله بهم.

- إن طرفا من تلك الأوامر توجهت إليهم عبر نبينا ﷺ والقرآن المنزل عليه، وهي عناية بهم أيضا.

ثانيا: موقف اليهود من هذه الأوامر ومصير أغراضها

دلت نصوص القرآن الكريم المتحدثة عن اليهود أن موقفهم العام من أوامر الله تعالى هو **العصيان** لها والتمرد عليها والاستخفاف بها. قال ابن كثير: (كانوا يكثرون العصيان لأوامر الله عز وجل، والغشيان لمعاصي الله، والاعتداء في شرع الله...) [78] قلت (الباحث): ومن ثم **لم تتحقق عامة الأغراض المقصودة** من تلك الأوامر؛ لأن سقوط الأصل سقوط لفرعه. فلم يعملوا بمقتضى الوجوب أو الاستحباب المضمنين في كثير منها، ولا حركهم ما فيها من الحث والحض، ولا أثر فيهم ما حوته من الامتنان والتودد، ولا خجلوا من التوبيخ والتقريع الفائضين من بعضها خجلا يدفعهم إلى الطاعة والتطبيق.

قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: **(ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ(83))** [البقرة]: أي: توليتم عن **جميع** ما أخذ عليكم الميثاق به، أي: أشركتم بالله وعبدتم الأصنام، وعققتم الوالدين، وأسأتم لذوي القربى واليتامى والمساكين، وقلتم للناس أفحش القول، وتركتم الصلاة، ومنعتم الزكاة[79].

وذلك ما كان يتوقعه موسى نفسه منهم؛ لأنه كان خبيرا بشخصيتهم، ولذلك خاطبهم في حياته بقوله: «أعرف **تمردكم**، وقد صرتم **تقاومون ربكم** و أنا حي، فأحرى أن تفعلوا ذلك بعد موتي»[80].

ومن الآيات المصرحة بعصيانهم لأوامر الله قوله - جل شأنه-: **(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ(61))** [البقرة].

فقد نصت الآية على أنموذجين عظيمين لعصيانهم وهما الكفر - وهو أعظم جرم في حق الله- والقتل - وهو أعظم جرم في حق الناس- ثم صرحت أن سبب العقوبات المسلطة عليهم هو عصيانهم لله وتعديهم حدوده.

هذا على العموم؛ أما على الخصوص فقد وردت نصوص كثيرة تسجل صورا مختلفة لتمردهم على الله وإعلانهم عصيانه بشكل سافر وقح.

- ففيما أمروا أن يخلصوا العبادة لله -كما في سورة البينة- عبدوا العجل، ثم عبدوا المال في سائر الأزمان. قال تعالى: **(وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ)** [البقرة: 92]. وقد حكم الله عليهم بالكفر وقلة الإيمان فقال: **(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا)** [النساء:155].

وليس المعنى أنهم لا يؤمنون بوجود الله، وإنما المقصود أنهم يلحدون في أسمائه وأوصافه، ويتلاعبون بأحكام دينه ويتحايلون عليها وينكرون ما لم يوافق أهواءهم منها. ومن ذلك وصفهم لله تعالى بالفقر والبخل والتعب والندم والنسيان، واتخاذهم أحبارهم أربابا يحلون ويحرمون لهم وفق أمزجتهم،

وكل ذلك منصوص في القرآن والتوراة، كما في قوله تعالى: **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)** [المائدة: 64].

- وعندما أمرهم بالجد في تعلم أحكام الدين وتطبيقه أعلنوا عصيانهم بصراحة تامة تنم عن وقاحة شديدة. قال تعالى: **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا)** [البقرة: 93].

- وعندما أمرهم أن يدخلوا باب بيت المقدس راكعين قائلين: حطة، دخلوه زاحفين على أدبارهم قائلين: حنطة في شعرة؛ وهذا استهزاء بأوامره تعالى لا نعلم له نظيرا، وهو «في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة»[81].

قال تعالى: **(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ)** [البقرة 58-59].

وقد أوضح النبي ﷺ ذلك فقال: «**قيل لبني إسرائيل: (ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ) فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعيرة**»[82].

- وعندما أمروا أن يقولوا للناس حسنا -وهو أمر متضمن ألا يكلموهم إلا كلاما طيبا ولا يعاملوهم إلا بالحسنى- قالوا الإثم واعتدوا في المعاملة. قال تعالى: **(وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (62) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(63))** [المائدة]، بل وأجرموا حتى تجرؤوا على أنبياء الله فقتلوهم، ورموا أكمل نساء الأرض -مريم عليها السلام- بالفاحشة.

قال محمد رشيد رضا: (وكذلك كانوا قد قطعوا صلات القرابة، وبخلوا بالنفقة الواجبة، وتركوا النهي عن المنكر، وفقدوا روح الصلاة، ومنعوا الزكاة ...)[83].

- وعندما أمرهم أن يأكلوا مما رزقهم من المن والسلوى أعلنوا أنهم ملوا منهما. قال تعالى: **(وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)[البقرة: 57] ثم قال : (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ)** [البقرة: 61]. قال السعدي: (الذي جرى منهم فيه أكبر دليل على قلة صبرهم واحتقارهم لأوامر الله ...)[84].

ولم يقف الأمر عند ضجرهم بتلك النعمة العظيمة ومطالبتهم بالبديل، بل صاروا يأكلون الحرام أنواعا، كما قال سبحانه: **(سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ)** [المائدة:42]، وقال: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ)** [التوبة:34].

وليس غرضي هنا استقصاء جميع نماذج عصيانهم لأوامر الله، فإن المقام لا يحتمل ذلك، وإنما هدفي البيان أن العصيان معهود منهم، متكرر فيهم حتى صار مميزا لشخصيتهم عبر التاريخ. لكن ينبغي التنبيه أن ذلك موقف الأغلبية منهم لا كل فرد فيهم. قال تعالى: **(وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ(110))** [آل عمران].

ثالثا: عواقب موقف بني إسرائيل من أوامر الله إليهم

لا يتوقع لقوم نالوا كل تلك العناية من سيدهم فقابلوها بالعصيان والإساءة إلا العقوبة العاجلة؛ لأن مخالفاتهم وإساءاتهم لم تكن زلات جاءت عن غفلة عارضة، أو أخطاء فردية لا يمثل أصحابها الأمة، بل

كانت تمردا جماعيا مقصودا ومتكررا عن سبق إصرار، ومن ثم كان لا بد من عقوبة عاجلة وأخرى آجلة تكون جزاء وفاقا للمصر على العصيان ليستيقن أن الله سبحانه لا يعبث وأنه عزيز ذو انتقام.

1- عواقب موقفهم في الدنيا: نص القرآن على ما ترتب على موقفهم هذا من عقوبات متنوعة سلطها الله عليهم في الدنيا، منها:

- الخزي في الحياة الدنيا: قال تعالى -بعد أن عدد نماذج من عصيانهم-: **(لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ(41))** [المائدة]. والخزي -على ما ذكر المفسرون [85] - هو الذلة، وتشمل القتل والسبي والنفي والجزية والهوان والتشريد. وقد حصل لهم كل هذا كثيرا جدا في غالب تاريخهم الطويل، وذلك بأن سلط الله عليهم أمما مختلفة كالقبط والآشوريين والبابليين والبطالسة والسلوقيين والرومان[86] في العصر القديم، والمسلمين -زمن النبوة [87] والخلافة الراشدة-[88] والإنكليز، والفرنسيين، والإيطاليين، والروس، والألمان[89] وغيرهم. قال تعالى: **(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (167) وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا)** [الأعراف]. ولا يزال الخزي ملازما لهم إلا في فترات نادرة جدا من التاريخ كمدة حكم سليمان ومدة قيام كيانهم الحالي بحبل من الغرب النصراني، كما قال تعالى: **(ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ)** [آل عمران: 112].

- البوء بغضب الله: قال تعالى: **(وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ)** [آل عمران: 112]. أي: رجعوا به، والمعنى احتملوه وألزموه[90]؛ وهذا أعظم العقوبات النازلة بهم كما قال السعدي[91]؛ لأن من غضب الله عليه فقد هلك يقينا. قال تعالى: **(وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (81))** [طه].

- ضرب المسكنة عليهم: قال تعالى: **(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ)** [آل عمران: 112]. والمسكنة هي الفقر الشديد، ولذلك سمي الفقير مسكينا. [92] فالفقر ملازم لهم، وقد ظهر في فترات كثيرة كما في زمنه ﷺ حين أخذت منازلهم في خيبر وقريظة والنظير وقينقاع، وكذلك حين تم إجلاؤهم في خلافة عمر -رضي الله عنه-؛ بل لقد قال ابن عطية: «و(المسكنة) التذلل والضعة، ...فليس أحد من اليهود -وإن كان غنيا- إلا وهو بهذه الحال»[93]، فهو فقر نفسي معنوي لصيق بهم قدرا وإن كانوا أغنياء ماديا، ولذلك فهم لا يشبعون من جمع المال واكتنازه أبدا مهما أثروا.

- لعن الله لهم: أي طردهم من رحمته وإبعادهم عنها[94]. قال - سبحانه-: **(وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ)** [البقرة:88].

- تحريم بعض الطيبات عليهم: قال تعالى: **(فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ)** [النساء: 160] وقد فصل في الآية السادسة والأربعين بعد المائة من سورة الأنعام تلك الطيبات المحرمة وكلها من الأطعمة.

- مسخهم قردة وخنازير: قال تعالى: **(وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ(60))** [المائدة]. «وجمهور المفسرين على أن معنى ذلك أنهم مسخوا فكانوا قردة وخنازير حقيقة، وانقرضوا، لأن الممسوخ لا يكون له نسل... » [95] والمقصود بهم أصحاب السبت من اليهود الذين تحايلوا على الشرع، وقد ذكر الله قصتهم في الآيتين: الخامسة والستين من البقرة، والسادسة والستين بعد المائة من الأعراف، وقيل: «القردة أصحاب السبت، والخنازير كفار مائدة عيسى -عليه السلام-»[96].

- إنزال العذاب عليهم من السماء: قال تعالى: **(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ(162))** [الأعراف].

«والرجز هو العذاب الذي تضطرب له القلوب، أو يضطرب له الناس في شؤونهم ومعايشهم»[97]؛ وقيل: هو الطاعون[98].

2- عواقب موقفهم في الآخرة: زعم بنو إسرائيل أنهم لن يعاقبوا على تمردهم على أوامر الله في الآخرة إلا شيئا يسيرا ولمدة محدودة، ولكن الله سبحانه فند ادعاءهم، وصرح أن الخلود في العذاب مصير كل من رشحته أعماله له كائنا من كان. قال تعالى: **(وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(81))** [البقرة].

بل أعلن في موضع آخر أن العذاب العظيم هو نصيبهم في تلك الدار. **(لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ(41))** [المائدة]. بل وصفه مرة بأنه أشد العذاب. قال تعالى: **(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ)** [البقرة: 85] وأن لا مطمع لهم في تخفيف قسوته أو وجود نصير يستنقذهم من معاناته. قال تعالى: **(فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ(86))** [البقرة].

لكن ينبغي أن نسجل - من باب الإنصاف والموضوعية- أن فيهم قلة أطاعوا أمر الله ما استطاعوا فاستحقوا ثناءه وثوابه. قال تعالى: **(وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(199))** [آل عمران]، ولكن العبرة بالغالب، ومن ثم كان حديثنا عن الأكثرية. **(وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ(110))** [آل عمران].

الخاتمة:

في الختام يمكن تسجيل النتائج الآتية:

- شملت أوامر الله إلى بني إسرائيل - كما مر بنا- مختلف جوانب الحياة الإنسانية بما يضمن لهم سعادة الدنيا والآخرة، وهو ما يدل على كمال رعاية الله لعباده عموما، وعلى أن سعادة البشرية منوطة بتطبيق أوامره سبحانه وتعالى.
- دارت الأوامر المتعلقة بمجال العقيدة حول محورين هما: الإيمان بالله وما أنزل على نبيه محمد ﷺ، والخوف من عقابه الدنيوي والأخروي وهو ما يدل على أن الإيمان بالله ووحيه المنزل على محمد ﷺ مع الحذر من مخالفة أوامره سبحانه هما سبيل السلامة في الدنيا والآخرة.
- تركز مجال العبادة حول وجوب الدخول في الإسلام بإظهار شعائره عامة والتأكيد على أعظم أركانه - الصلاة والزكاة- خاصة، وهو ما يدل على أن الواجب على البشرية عامة وعلى اليهود خاصة المسارعة إلى اعتناق الإسلام والحرص على أركانه الكبرى وفي مقدمتها الصلاة والزكاة.
- الغذاء والسكن هما قطبا الأوامر الواردة إليهم في مجال الإباحة، وهو دليل على وحدة ضرورات الحياة المعيشية للبشرية كلها مهما اختلفت أوطانها وعصورها وحضاراتها.
- الإحسان هو قطب جميع الأوامر الواردة في مجال العلاقات الاجتماعية والجوانب الأخلاقية وهو دليل على أن الخير والسلام والتعاون - وسائر ما يندرج تحت كلمة الإحسان من المعاني- هي العلاقة الطبيعة بين البشر، وهي العلاقة التي رضيها الله لهم؛ ولكن شياطين الإنس والجن هم الذين يصنعون العداوات،

ويفتعلون الحروب والخلافات.

- تركزت الأوامر التي استهدفت وعظهم وتذكيرهم حول محورين هما: استدامة الشعور بنعم الله عليهم وشكرها قولا وفعلا، وتذكر أوامره إليهم في التوراة دائما وتطبيقها بجد، وأولى الناس اليوم بهذين الأمرين -شكر النعم وتطبيق الأوامر- المسلمون لأنهم وحدهم يملكون مصادر صحيحة لمعرفة المنعم وأوامره إن كانوا يريدون استبقاء ما هم فيه من النعم ودفع نقم الدنيا والآخرة، كما ينبغي لكل خطيب وواعظ يريد النجاح في مهمته أن يركز على هذين الموضوعين في أنشطته.
- بعض تلك الأوامر عالجت أحداثا يومية ووقائع خاصة في تاريخهم القديم، فدل ورودها في التوراة الحالية على تحريفها لأن التوراة الأصلية نزلت جملة واحدة كما هو معلوم، كما دلت على عناية الله بهم.
- الأوامر التي تحمل معنى التخويف أكثر الأوامر تكررا؛ وهو ما يدل على أن الخوف من الله هو الذي يكسر سلطان الهوى الحائل بين العبد وبين إبصار الحق والعمل به، ولعل في ذلك إشارة أيضا إلى أن الشخصية الإسرائيلية لا تفهم إلا لغة القوة والعقوبة.
- تنوعت الأغراض من وراء تلكم الأوامر، بين الوجوب والاستحباب والتوجيه والوعظ ...الخ؛ ومن أبرزها الامتنان عليهم عسى أن يستشعروا فضل المنعم -سبحانه- فيؤمنوا به ويوحدوه ويعبدوه كما أمرهم، ويقابلوا نعمه بالحمد والشكر قولا وفعلا، لكن النفوس الخسيسة استعصت عن استصدار اعترافها بالجميل، بل صدر منها ما يدل على احتقارها له، فتعطلت تلك الأغراض في أكثر الأحوال، وهو ما ينبغي أن يعيه العرب والمسلمون اليوم ليكونوا في إياس من استرضاء اليهود بتقديم التنازلات، أو انتظار الاعتراف لهم بالجميل مهما أحسنوا إليهم على حساب دينهم وقضاياهم.
- قابل بنو إسرائيل أوامر الله تعالى **بالمخالفة والعصيان** جيلا بعد جيل **-وهو ما يدل على شخصية صبغها الكبر والجدال والقسوة والتعنت والعناد-** فعاقبهم الله في الدنيا بلعنه لهم، وغضبه عليهم، ومسخهم قردة وخنازير، وتحريم بعض الطيبات عليهم، وإنزال العذاب عليهم، والمسكنة، والخزي الذي يشمل القتل والسبي والنفي والشتات والجزية والهوان ...الخ، وتوعدهم في الآخرة بألوان العذاب العظيم في نار جهنم.
- من اللطائف أنه لم يرد إليهم في القرآن الكريم -فيما يتعلق بالحياة الأخروية- إلا أمر واحد فقط وهو أن يتذوقوا التعذيب حرقا بالنار. قال تعالى: **(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ(181))** [آل عمران].
- الواجب علينا-نحن المسلمين-أن نعتبر بما جرى لبني إسرائيل فنجتهد في طاعة أوامر الله ونحذر مخالفتها لأنه -سبحانه- لا يحابي أحدا. قال تعالى -بعد أن قص علينا ما جرى ليهود بني النظير- **(فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ(2))** [الحشر].

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم برواية حفص.

2- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار نور الكتاب، الجزائر، د ت ط، 1428هـ/2007م.

3- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ)، سنن ابن ماجة، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، د ت ط.

4- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 2004م.
5- ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، 1984م.
6- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت546هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1422هـ/2001م.
7- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، سنن أبي داود، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، د. ط.
8- الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الذهلي الشيباني (ت241هـ)، مسند أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدولية، لبنان، د. ط، 2004م.
9- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د. ط. ت.
10- البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي (ت256هـ)، صحيح البخاري، ضبط النص: محمود محمد محمود حسن نصار، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1421هـ/2001م.
11- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت516هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، ط1، 1409هـ، 90/1.
12- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ/1998م.
13- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 1422هـ/2001م.
14- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت 450هـ)، النكت والعيون، مراجعة وتعليق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د. ط.
15- الساعاتي، أحمد عبد الرحمن البنا (ت1378هـ/1958م)، بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، د. ت.
16- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.
17- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 1427هـ/2006م.
18- الرازي، محمد فخر الدين بن عمر ضياء الدين (ت604هـ)، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 1401هـ/1981م.
19- الرفاعي، فؤاد بن سيد عبد الرحمن، حقيقة اليهود، الكويت، د. ط.ت.
20- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت1250هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط4، 1428هـ/2007م.
21- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت279هـ)، سنن الترمذي، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، د. ت.
22- جوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة: عادل زعيتر، دار طيبة، الجيزة، ط1، 2009.
23- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)، صحيح مسلم، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د. ط، 1419هـ/1998م.
24- رشيد رضا، محمد (ت1354هـ/1935م)، تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار، تحقيق فؤاد سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، القاهرة-مصر، د. ت.

المواقع الإلكترونية:

1- الشيخ محمد الحمود النجدي، وعيد الله وعقوباته لليهود في القرآن الكريم والسنة النبوية "، تاريخ النشر : 2013/08/31 ، تاريخ الدخول : 2019/09/08، رابط المقال: "http://www.ebnmaryam.com/vb/t196630.html".

2- موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة المؤلف: محمود بن عبد الرحمن قدح. الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة التاسعة والعشرون - العدد (107) - (1419/1418هـ) المكتبة الشاملة الحديثة. رابط المرجع: https://al-maktaba.org/book/3823

الهوامش:

(*) جميع ما ورد من إحصائيات في المقال اعتمد فيها الطالب الباحث على استقرائه الخاص.

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1421ه/2001م،كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم 3455 ، ص 636، ومسلم في صحيحه، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د ر ط، 1419هـ/1998م، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، رقم 1842 ، ص 770، وأحمد في مسنده، بيت الأفكار الدولية، لبنان، د. ط، 2004م، مسند أبي هريرة (رضي الله عنه)، رقم 7947 ص 569، وابن ماجة في سننه، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، د ت ط، كتاب الجهاد، باب الوفاء بالبيعة، رقم 2871، ص 487، كلهم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

(2) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ت 671هـ ، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 1427هـ/2006م ، 9/2.

(3) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت 310ه، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 1422هـ/2001م، 598/1.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 9/2.

(5) محمد رشيد رضا ت1354هـ/1935م، تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار، تحقيق: فؤاد سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، القاهرة-مصر، د ت ط، 289/1.

(6) عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت 1376ه، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، ص36.

(7) عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت774ه ، تفسير القرآن العظيم، دار نور الكتاب، الجزائر، د ر ط، 1428هـ/2007م، 131/1.

(8) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 447/2.

(9) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 290/1-291.

(10) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، 1984م ، 458/1.

(11) ابن عاشور، المصدر السابق، ص 460.

(12) محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت1250هـ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط4، 1428هـ/2007م، ص25.

(13) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 36.

(14) انظر على سبيل المثال: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ/1998م، 259/1، و محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 291/1.

(15) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 220/5.

(16) ابن عاشور، المصدر السابق، ص 219، و الألوسي، روح المعاني، 163/5-164.

(17) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 220/5.
(18) المصدر نفسه.
(19) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ت516هـ، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، ط1، 1409هـ، 90/1.
(20) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 484/1.
(21) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 74/2.
(22) الشوكاني، فتح القدير، ص1644.
(23) الشوكاني، المصدر السابق، ص1643.
(24) جوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة: عادل زعيتر، دار طيبة، الجيزة، ط1، 2009، ص93-94.
(25) فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي، حقيقة اليهود، الكويت، د. ط، ص 24.
(26) أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د. ط.ت، 247/1.
(27) الشوكاني، فتح القدير، ص1644.
(28) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 480/30.
(29) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 22/2-23.
(30) الشوكاني، فتح القدير، ص1643.
(31) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، 253/1.
(32) الألوسي، روح المعاني، 247/1.
(33) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 481/30.
(34) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 37.
(35) الشوكاني، فتح القدير، ص54.
(36) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1422هـ/2001م، 136/1.
(37) الطبري، جامع البيان، 613/1.
(38) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 514/1.
(39) ابن عاشور، المصدر السابق، 524/1.
(40) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 228/2.
(41) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 185/1.
(42) محمد فخر الدين بن عمر ضياء الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط1، 1401هـ/1981م، 177/3.
(43) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 43.
(44) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 277/19.
(45) الرازي، مفاتيح الغيب، 181/3.
(46) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 356/1-357.
(47) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 232/2.
(48) القرطبي، المصدر السابق، ص 233 .
(49) المصدر نفسه.
(50) أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 2004م، 36/6.
(51) ابن عطية، المحرر الوجيز، 133/1.
(52) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 7/2.

(53) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 451/1.
(54) ابن منظور، لسان العرب، 36/6.
(55) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 7/2.
(56) الألوسي، روح المعاني، 242/1.
(57) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 36.
(58) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 452/1.
(59) ابن منظور، لسان العرب، 318/10.
(60) ابن منظور، المصدر السابق، 252/15.
(61) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 453/1.
(62) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 8/2.
(63) ابن عطية، المحرر الوجيز، 134/1.
(64) الطبري، جامع البيان، 1 ب/596.
(65) الزمخشري، الكشاف، 258/1.
(66) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 8/2.
(67) المصدر نفسه.
(68) انظر على سبيل المثال: الطبري، جامع البيان، 1ب/598، وابن عاشور، التحرير والتنوير 453/1.
(69) ابن عاشور، التحرير والتنوير 542/1.
(70) المصدر نفسه.
(71) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 124/2.
(72) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 154/1.
(73) ابن كثير، المصدر السابق، ص 155.
(74) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت450هـ)، النكت والعيون، مراجعة وتعليق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د ت ط، 137/1.
(75) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 547/1.
(76) الألوسي، روح المعاني، 96/28.
(77) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 613/1.
(78) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 75/2.
(79) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 584/1.
(80) ابن عاشور، المصدر السابق، 578/1.
(81) أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي ت1378هـ، بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، د ت ط، 73/18.
(82) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58))، رقم 4479، ص 807، ومسلم في صحيحه، كتاب التفسير، رقم 3015، ص 1207، وأحمد في مسنده، مسند أبي هريرة، رقم 8095 ص 579، ورقم 8213 ص 585، والترمذي في سننه، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، د. ت، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب (ومن سورة البقرة)، رقم 2956، ص 662، كلهم عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، وأبو داود في سننه، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، د. ت، كتاب الحروف والقراءات، رقم 4006، ص 599 عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه).
(83) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 359/1.
(84) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص39.

(85)انظر على سبيل المثال: ابن عطية، المحرر الوجيز، 193/2. البغوي، معالم التنزيل، 92/2. الألوسي، روح المعاني، 139/6. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 339/6. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 591/1.

(86) الشيخ محمد الحمود النجدي، وعيد الله وعقوباته لليهود في القرآن الكريم والسنة النبوية "http://www.ebnmaryam.com/"، تاريخ النشر : 2013/08/31 ، تاريخ الدخول : 2019/09/08، "http://www.ebnmaryam.com/vb/t196630.html".

(87)أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري -ت 218ه-، السيرة النبوية، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 1424ه/2003م، 3/6-7، 158-165، 237-256.

(88)المعافري، المصدر السابق، 258/3-259.

(89)محمود عبد الرحمن قدح، موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المكتبة الشاملة الحديثة، تاريخ الدخول:2019/11/21 (https://al-maktaba.org/book/3823)

(90)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 266/5.

(91)السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص127.

(92)ابن عاشور، التحرير والتنوير، 56/4.

(93)ابن عطية، المحرر الوجيز، 491/1.

(94)الماوردي، النكت والعيون، 157/1.

(95)محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 387/6.

(96)البغوي، معالم التنزيل، 75/3.

(97)محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 320/9.

(98)ابن عطية، المحرر الوجيز، 497/2